جامعة المنصورة
كليـة التربية

الفكر اللغوي عند الزمخشري من نحو الجملة في المفصل إلى نحو النص في الكشاف

إعـداد

رضا محمد أحمد محمد

إشراف

أ.د/ السيد علي محمد خضر
أستاذ النحو والصرف
بكلية التربية ـ جامعة المنصورة

أ.د / عبد الله علي أبو شبانة خلف
أستاذ النحو والصرف ووكيل
كلية التربية ـ جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٢٦ – إبريل ٢٠٢٤

الفكر اللغوي عند الزمخشري من نحو الجملة في المفصل إلى نحو النص في الكشاف

رضا محمد أحمد محمد

ملخص البحث:

يستهدف هذا البحث إيضاح الفرق بين نحو الجملة ونحو النص، والتدليل على وجود جذور نحو النص في تراثنا اللغوي العظيم، وذلك من خلال تناول خصائص نحو الجملة في كتاب (المفصل في صنعة الإعراب) لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) ونحو النص من خلال دراسة معياري السبك والحبك في تفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للزمخشري كذلك؛ لكونهما المعيارين المرتبطين بالنص ارتباطًا مباشرًا من بين معايير نحو النص أيضًا.

لقد كان هدف الزمخشري من تصنيف المفصل هدفًا علميًّا تعليميًّا بحتًا؛ لذلك لم يختلف المفصل- كثيرًا- رغم مكانته الكبيرة عن كتب النحو التي سبقته؛ فقد كانت الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي تناولها بالدراسة والتحليل ليضع لنا معايير صياغتها كغيره من النحاة وقاية للسان، في حين نجد هدف الزمخشري من تصنيف الكشاف الإبانة عمَّا في نظم النص القرآني من أسرار الإعجاز البلاغي؛ ولذلك فهو لا يكتفي بإيراد ما يتعلق بنحو الجملة فيما يتعلق بالمفردات القرآنية ووجوه إعرابها، بل يدرك أنه يتعامل مع النص من حيث كونه الوحدة اللغوية الكبرى، ومن ثَمَّ فهو يُخضع تلك القواعد المعيارية (قواعد نحو الجملة) لما يُمليه عليه النصُّ والسياق مقتربًا بذلك من (نحو النص) ذلك النحو الذي ظهرت إرهاصاته الأولى في التراث اللغوي، ثم ظهرت له في الغرب نظرية مفصلة في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، ثم أخذت الدراسات النصية تتوالى في الستينات والسبعينات من القرن نفسه.

هيكل البحث ومحتواه:

ومن أجل أن يحقق البحث غايته وأهدافه؛ فإنه سيتناول المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: بين نحو الجملة ونحو النص، ويتضمن:

أولًا: نحو الجملة وخصائصه.

ثانيًا: نحو النص ومعاييره.

المبحث الثاني: نحو الجملة ونحو النص في الفكر اللغوي للزمخشري، ويتضمن :

أولًا: من خصائص نحو الجملة في المفصل.

ثانيًا: من معايير نحو النص في الكشاف (السبك - الحبك).

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تناول خصائص نحو الجملة ثم إبرازها في كتاب المفصل للزمخشري، وفي تناول التعريف بنحو النص ومعاييره، وتطبيق ذلك على تفسير الكشاف للزمخشري بإبراز معياري السبك والحبك فيه.

حدود البحث:

سيركز البحث من الإنتاج الفكري الضخم للزمخشري على كتاب (المفصل) وتفسير (الكشاف) وقد اعتمدت على نسختين محققتين هما:

- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري لأبي القاسم الزمخشري محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المتوفى٥٣٨ هـ، تحقيق ودراسة الدكتور خالد إسماعيل حسَّان، راجعه الأستاذ الدكتور رمضان عبد التوَّاب، الطبعة الثالثة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٤م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧- ٥٣٨هـ)،- وبحاشيته: الانتصاف للإمام أحمد بن المنير الإسكندراني، والكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المرزوقي المذكور- اعتنى به ورتب حواشيه محمد السعيد محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م.

المبحث الأول: بين نحو الجملة ونحو النص

أولًا: نحو الجملة وخصائصه:

ظلت الجملة محور الدراسات النحوية عند العرب وغيرهم حتى منتصف الستينات من القرن العشرين؛ إذ "كان يُنظر إلى الجملة وحدها على أنها الوحدة الأساسية في علم اللغة، وهي أكبر وحدة يمكن تعيينها، ومن ثم متاحة للوصف اللغوي، ويتضح هذا الموقع الأساس لعلم لغة الجملة في أجلى صورة في تعريف بلومفيلد للجملة تعريفًا شكليًا صارمًا: الجمل شكل لغوي مستقل، لا يتضمنه من خلال أي تركيب نحوي، شكل لغوي أكبر منه"[١].

وقد أُطْلِقَ على هذا النحو - الذي جعل الجملة الوحدة اللغوية الكبرى للتحليل- نحو الجملة، فـ"نحو الجملة هو صورة من صور التحليل النحوي يقف في معالجته عند حدود الجملة، ويرى أن الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يُقعَّد لها"[٢].

إن الغاية التي بدأ من أجلها ظهور نحونا العربي- وهي العصمة من اللحن- فرضت عليه أن يسير في مسار (نحو الجملة)؛ إذ اصطبغ نحونا العربي معظمه بصبغة النحو التعليمي، وكانت الجملة وقواعد صياغتها وتحليلها المحور الرئيس الذي تدور حوله كتب النحو، ومن المعروف أن مصنفي كتب النحو معظمهم كانوا يقومون بتدريس مصنفاتهم في حلقات في المساجد؛ فكان لزامًا أن يغلب على أسلوبهم الجانب التعليمي. لقد رأى النحاة العرب أن الجملة العربية وحدة دلالية مستقلة ينطق بها المتكلم ليفيد المخاطب معنى محددًا، يتشكل هذا المعنى من مجموع دلالات كلمات الجملة والعلاقات الكائنة بينها، يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن مَثَل واضع الكلام مَثَلُ من يأخذ قطعًا من الذهب أو الفضة فيُذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة. وذلك أنك إذا قلت:(ضرب زيدٌ عَمْرًا يوم الجمعة ضربًا شديدًا تأديبًا له) فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم، وهو معنى واحدٌ لا عدة معان، كما يتوهمه الناس"[٣].

ويرى الدكتور تمّام حسّان أن الدراسات اللغوية القديمة كان تركيزها على المبنى ولم يشغل المعنى اهتمامها إلا قليلًا؛ إذ يقول: "ومن هنا اتسمت الدراسات اللغوية العربية بسمة الاتجاه إلى المبنى أساسًا ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعًا لذلك وعلى استحياء"[٤]، ولعل هذا أحد أسباب انحصار النحو العربي في نطاق الجملة. ولذا فقد اتسم نحو الجملة بخصائص تميزه تتمثل في:[٥]

---

[١] - مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هانيه مان وديتر فيهفجر، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٦.

[٢] - نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٦٥.

[٣] - كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م ، ص٤١٣،٤١٢.

[٤] - اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٩٤م، ص١٢.

[٥] - انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ص٧٢:٧٥.

١ ـ استقلال النحو عن رعاية المواقف اللغوية.
٢ ـ إخضاع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة.
٣ ـ الاطّراد.
٤ ـ المعيارية.
٥ ـ الإطلاق.
٦ ـ الاقتصار على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة.

ثانيًا: نحو النص ومعاييره:

لقد ظل نحو الجملة هو المسيطر على الدراسات اللغوية في كل اللغات، حتى بدأت تظهر الإرهاصات الأولى لـ (نحو النص) مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، وقد كان للعالم اللغوي الأمريكي هاريس HARRIS فضل السبق في لفت الأنظار لنحو النص إذ رأى أن " اللغة لا تَردُ في صورة كلمات أو جمل منعزلة، بل في نص مترابط بدءًا من المنطوق المكون من كلمة واحدة حتى المؤلَّف المكون من عشرة مجلدات"[١]. ولم يكتفِ هاريس بذلك بل وضع أسسًا منهجية لوصف النص وتحليله مستقاة من منهجه في تحليل الجملة المعتمد على (التجزئة والتصنيف والتوزيع).

لقد قام علماء اللغة بتطوير دراسات هاريس وكان من أبرز هؤلاء العلماء فان دايك في السبعينات من القرن العشرين، وقد عُدَّ فان دايك مؤسس نحو النص، ولكن يرجع الفضل إلى روبرت دي بوجراند في ترسيخ هذه الأسس- التي وضعها فان دايك- في الثمانينات ليصير نحو النص علمًا واضح المعالم؛ إذ يعد تعريف النص عند روبرت دي بوجراند Robort de Beaugrand وفلفجانج دريسلر Wolfgang dresslar من أشمل التعريفات إذ يعرفان النص بأنه "حدث تواصلي يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص"[٢].

وقد أورد الدكتور السيد خضر تعريفًا لنحو النص فقال "أما نحو النص بالمفهوم الحديث فهو اتجاه جديد في الدرس النحوي يتجاوز إطار الجملة الذي صبغ الدرس النحوي التقليدي إلى إطار أوسع هو النص، إنه يعني (الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي)"[٣].

كذلك استخلص الدكتور صبحي إبراهيم الفقي تعريفًا لعلم اللغة النصي- وهو المصطلح المرادف لنحو النص- فقال "إذن علم اللغة النصي- فيما نرى- هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة، أو المرجعية Reference وأنواعها، والسياق النصي Textual Context، ودور المشاركين في النص(المرسل والمستقبل). وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حدٍّ سواء"[٤].

---

[١] ـ مدخل إلى علم لغة النص: ص١٧.
[٢] ـ نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ص٣٠.
[٣] ـ أبحاث في النحو والدلالة، د. السيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م، ج١، ص٨١.
[٤] ـ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة للنشر والتوزيع،
القاهرة والإسكندرية وطنطا، مصر، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، ص٣٤.

ومن المُلاحَظ من خلال هذين التعريفين:

- أن النص- لا الجملة- هو موضوع الدراسة في نحو النص.
- أن وظيفة نحو النص تتلخص في خطوتين:

الأولى: وصف الأبنية النصية.

الثانية: تحليل مظاهر وأشكال التواصل النصي.

- ارتباط تعريف نحو النص ارتباطًا وثيقًا بمعايير النصية السبعة لدي بوجراند ودريسلر.

إن نحو النص يختلف كثيرًا عن نحو الجملة، فإذا كان نحو الجملة يكتفي بوضع نظام صياغة الجملة؛ فإن نحو النص يحاول اكتشاف خبايا النظام اللغوي من خلال دراسة النص؛ ليكشف لنا عن عبقرية ذلك النظام في تحقيق التماسك الدلالي لبنيات النص مما يجعل للنص شخصية مستقلة، ويكسب القارئ لذة الملاحظة لهذا التناسق العجيب بين كلمات النص وبنياته، واتحادها في تحقيق هدف منتج النص، وبذلك فإن مهمة نحو النص لا تتوقف فقط عند المستوى السطحي كما هي الحال في نحو الجملة؛ بل تغوص في أعماق النص لتستخرج لنا دررًا، وهذا يذكرنا بقول حافظ:

أنا البحرُ في أحشائِه الدرُّ كامنٌ فهل ساءَلوا الغواصَ عن صَدَفاتي؟

وما دام النص هو موضوع نحو النص ومرتكزه؛ لذلك فإن المعايير التي وضعها روبرت دي بوجراند ودريسلر للنصية هي نفسها معايير نحو النص، وإذا كانت هذه المعايير السبعة منها ما يتعلق بالمستوى النحوي التركيبي وهو (السبك)، ومنها ما يتعلق بالمستوى الدلالي المعنوي وهو(الحبك)، ومنها ما يتعلق بالمستوى التداولي وهي معايير(القصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص)؛ لذلك فإن التحليل النصي ليس بالأمر الهيِّن، بل هو عملية معقدة؛ إذ "ينتقل مفسر النص بين هذه المستويات الثلاثة مستندًا إلى تصورات ومفاهيم وقواعد وقيود اصطلاحية ومعرفية، وتتآزر هذه المستويات لتقديم تفسير متكامل؛ إذ إن النحو يقوم بتحليل العلاقات بين العلامات في المستويين الأفقي والرأسي، وتُحَلِّلُ الدَّلالةُ صلة العلامات بالمدلولاتِ والواقع، وتُعْنَى التداولية بتوصيل دلالات العلامات"[1]. "ومنهج تحليل النص يسعى إلى تفكيك علاقات النص الداخلية ومعرفة أجزائه ومكوناته وطرق ارتباطها وتماسكها، وتحليله إلى عناصره الأولية لغويًا ودلاليًا وتركيبيًا لمعرفة القوانين الخاصة ببنائه وتميزه، ثم إعادة بنائه مرة أخرى. إن دراسة البنيات اللغوية الصغرى داخل النص يجب أن تكون متدرجة هرمية، تتعامل مع النص انطلاقًا من كونه بنية طبقية مركبة، وليست دراسة تتابعية مسطحة تولي تتابع الجمل أفقيًا داخل النص كامل جهودها، فمنهج التحليل النصي يسعى إلى أن يصبح النص كاملًا هو موضوع البحث"[2].

وبالرغم من هذه الاختلافات بين نحو الجملة ونحو النص فإن العلاقة بينهما علاقة تكاملية؛ فالنحوي النصي لا بد أن يكون متمرسًا بل خبيرًا في نحو الجملة؛ حتى يمكنه توظيف تلك الخبرة في الكشف عن مكونات النص من الناحية التركيبية السطحية ثم الناحية الدلالية، ويلي ذلك الجوانب التداولية.

---

[1] - علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة العالمية للنشر لونجمان، ١٩٩٧م، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، ص١٤٧:١٤٨.

[2] - دور نحو الجملة في تفسير النص منهج وتطبيق، د. ليلى يوسف حميد، بحث منشور ضمن كتاب المؤتمر الثالث بكلية دار العلوم (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص٢٣٣.

وإذا كان نحو الجملة يركز جهوده على دراسة الجملة لا النص، فليس معنى ذلك التناقض بينه وبين نحو النص؛ إذ الجملة هي النواة الأساسية للنص، ولا يمكن صياغة النص دون الإلمام بنحو الجملة أولًا، ولذلك لا يمكن أن يغني نحو الجملة عن نحو النص، ولا يمكن أن يغني نحو النص عن نحو الجملة.

المبحث الثاني: نحو الجملة ونحو النص في الفكر اللغوي للزمخشري:

أولًا: من خصائص نحو الجملة في المفصل:

١- استقلال النحو عن رعاية المواقف اللغوية:

تُعَدُّ الجملةُ الوحدةَ اللغوية الكبرى التي يمكن أن تخضع للدراسة والتحليل عند نحاتنا الأقدمين، وترتب على هذا إهمالهم السياق اللغوي والسياق الاجتماعي والثقافي في معظم الأحيان.

وبذلك صار انتزاع الشاهد النحوي - شعريًا كان أو نثريًا - من النص الذي ورد به أمرًا معهودًا في كتب نحو الجملة، وفي ذلك - لاشك - إهمال للروابط المعنوية واللفظية، التي تربط بين هذا الشاهد وسائر عبارات النص الذي أُنتُزع منه.

إن الاهتمام بالشواهد النحوية مبتورة من سياقها من أجل تأكيد القاعدة جعل دارسي النحو يفتقدون الحِسَّ اللغوي، والذوق الأدبي، الذي لا ينمو إلا من خلال نصوص مكتملة ومعانٍ تامة تثبت بذهن الدارس، يقول الدكتور السيد خضر: "إن نحو الجملة والقواعد يرتكز إذن على الجملة بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل النحوي، ومن ثم سَهَّل ذلك بناءَ قواعد النحو من جمل وشواهد مأخوذة من سياقات أكبر أو نصوص، دون الحاجة إلى تلك النصوص الأصلية في التعامل مع الجملة محل الشاهد، وبهذا يفقد التحليل النحوي ميزة الترابط العضوي أو التماسك الذي يرتكز عليه نحو النص"[١]،كما عَدَّد الدكتور سعد مصلوح أوجه القصور التي كابدها النحو العربي وجعل في مقدمتها أن "موضوع النحو العربي هو الشاهد والمثال، ويدخل في ذلك الجمل المُجْتَزَأة بل المصنوعة أحيانًا، وبذلك يخرج النص عند النحاة عن أن يكون موضوعًا للدرس النحوي بأصل المنهج"[٢].

ولننظر إلى هذا النموذج التطبيقي من المفصل للزمخشري:

أ- يقول الزمخشري عند حديثه عن التنازع:

"ومن إضمار الفاعل قولك: ضَرَبَني وضربتُ زيدًا، تضمر في الأول اسمَ مَنْ ضَرَبَكَ وضَرَبْتَهُ إضمارًا على شريطة التفسير؛ لأنكَ لما حاولتَ في هذا الكلام أن تجعل زيدًا فاعلًا ومفعولًا فوجهت الفعلَيْن إليه، استغنيت بذكره مرة، ولما لم يكن بدٌّ من إعمال أحدهما فيه أعملتَ الذي أوليتَهُ إيَّاه، ومنه قول طُفَيْل الغَنَويِّ، أنشده سيبويه: (الطويل)

وكُمْتًـا مُدَمَّـاةً كـأنَّ مُتُونَهـا جَرَى فَوْقها واسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ"[٣]

والذي يلفت انتباه الدارس في هذا الشاهد النحوي (بيت طُفَيْل) أنه يبدأ بحرف عطف ثم اسم معطوف منصوب (وكُمْتًـا) فعلام عُطِف؟ كما يلفت الانتباه وجود ضمائر بارزة ومستترة (مُتُونَهـا ، فَوْقَها ، اسْتَشْعَرَتْ) لا يعرف الدارس إلام تعود؟ بالإضافة إلى غموض المعنى الناتج عن ذلك.

---

[١] - أبحاث في النحو والدلالة: ج١، ص ٦٩ : ٧٠.

[٢] - في اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٢٢٢.

[٣] - المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، تحقيق خالد إسماعيل حسان ورمضان عبد التواب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٣، ٢٠١٤م، ص ٦٦.

وإذا ذهبنا نستكشف الأمر عند ابن يعيش وجدناه لا يلتفت إلا إلى موضع الشاهد وهو (جَرَى فَوْقَها واسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ)، ولكنَّ محقق الكتاب (شرح المفصل لابن يعيش) أورد في الهامش ما يفيدنا فقال: "المعنى: يصف خيلًا بأنَّها ذات لون أحمر مائل إلى الذهبي بسبب انعكاس أشعة الشمس على عَرَقِها. الإعراب: وكُمْتًا: الواو عاطفة، كُمْتًا: اسم معطوف على الخيل في بيت سابق نصه:

جَلَبْنا مِنَ الأعْرافِ أعْرافِ غَمْرةٍ وأعْرافِ لُبْنى الخَيلَ يَا بُعْدَ مَجْلَبِ"[1]

بذلك نجد الدكتور إميل بديع يعقوب قد اهتم بإبراز معنى البيت، وفك غموضه النحوي الناتج عن اقتطاع البيت من السياق الذي ورد فيه، وبالرجوع إلى شرح ديوان طُفَيْل الغَنَوي نجد نص الأبيات بهذا الترتيب:[2]

٢١- جَلَبْنا مِنَ الأعْرافِ أعْرافِ غَمْرةٍ وأعْرافِ لُبْنى الخَيلَ يَا بُعْدَ مَجْلَبِ
٢٢- بِنَاتِ الغُرابِ والوجيهِ ولاحِق وأعْوَجَ تَنْمي نِسْبَةَ المُتنسِّبِ
٢٣- ورَادًا وحُوًّا مُشْرِفًا حَجَبَاتُها بَنَاتِ حِصَانٍ قَدْ تُعُولِمَ مُنْجِبِ
٢٤- وكُمْتًا مُدَمَّاةً كأنَّ مُتُونَها جَرَى فَوْقَها واسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ

نلاحظ أن (كُمْتًا) من الأفضل أن تكون معطوفة على (وَرَادًا) ؛ فحديثه في البيتين الأخيرين عن ألوان الخيل؛ إذ "ركزت الأبيات على ذكر ما يُستحب من صفات الحُسْن والجمال في الخيل فذكر من ألوانها الوَرْد، مفرد وِراد، فالورد هو أحمر ليس بشديد الحمرة، والحوَّة سواد ليس بشديد يخالطه صفرة، وهو ما بينه الشاعر في البيت الثاني بقوله: (واسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ). ثم قال: (وكُمْتًا)، والكمتة في الخيل نوعان: أولها شدة الحمرة، وهو ما أشار إليه قوله: (مدماة)، والآخر الكميت الأحمر، واللون الكميت في الخيل يصحبه شدة الجلود والحوافر . . ."[3].

هكذا نرى أن إعادة الشاهد الشعري إلى نصه الذي اُقْتُطِعَ منه أدى إلى اتضاح معناه، وجلاء إعراب مفرداته في حين أن تناوله منعزلًا عن سياقه أدى إلى افتقاد التحليل النحوي للترابط العضوي، والتماسك المعنوي.

٢- إخضاع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة:

يُعَدُّ نحو الجملة نحوًا تحليليًا لا تركيبيًا، وذلك قد يرجع إلى:

- تركيز نحو الجملة على دور المتلقي الذي تصل إليه الجملة مكتملة البناء، وعليه أن يقوم بتحليل العلاقات بين أجزاء الجملة ليصل إلى المعنى الذي يرمي إليه المتكلم، يقول الدكتور مصطفى حميدة: "يلحظ الدارس أن النحاة أقاموا صرح علم النحو العربي على دراسة دور المتلقي لا دور المتكلم، إذ جعلوا منهجهم في دراسة الجملة يبدأ من المبنى للوصول إلى المعنى أي في اتجاه معاكس لما يسير فيه نظام الحدث الكلامي في عملية الاتصال اللغوي حسب النظرة الحديثة"[4].

---

[1] - شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢٢،١هـ، ٢٠٠١م، ج١، ص ٢٠٥

[2] - ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص٣١: ٣٢.

[3] - وصف الخيل عند طفيل الغنوي (بائيته نموذجا)، د.عائشة عبد القادر محمد توم، ود. هاجر سليمان طه، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد (٧٢)، أكتوبر ٢٠٢١م، ص ٣٦.

[4] - نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الدكتور مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط ١، ١٩٩٧، القاهرة، ص ٢٠.

- انشغال نحو الجملة بنظرية العوامل النحوية منذ مراحله الأولى، وذلك حتى يعطي تفسيرًا مقبولًا لتغير العلامات الإعرابية التي كانت محور اهتمام النحاة؛ ليحققوا غايتهم المتمثلة في صون اللسان العربي من اللحن، إذ "إن مفهوم الإعراب لدى النحاة شَكَّل البنية النظرية النحوية وجوهرها؛ فمنذ توصل أبو الأسود الدؤلي إلى الرموز الكتابية الدالة على حركات الإعراب اتخذ الدرس النحوي هذه العلامات محورًا له، ولتأصيل مقاصد الحركات الإعرابية حاول النحاة تفسير تغير هذه الحركات نهاية الأسماء المعربة والتماس علل مناسبة لهذه التغيرات، وهذا التفسير والتعليل كان من دواعي نشأة نظرية العامل، ومن الآليات التي اشتغلت عليها نظرية العامل في النحو تحليل الجمل..."[1].

وقد فطن النحاة العرب منذ سيبويه إلى أن الجملة البسيطة التي تُعَدُّ نواة للجملة المركبة تتكون نتيجة العلاقة الإسنادية بين طرفيها، والتي ينتج عنها نوعا الجملة البسيطة: الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ومن هنا فإن الجملة البسيطة لا تخلو من تركيب بين المفردات قائم على هذه العلاقة الإسنادية؛ لذلك فقد اقترح الدكتور مصطفى حميدة تعريفًا للجملة ثم أردف ذلك بتعريف قسمي الجملة(الجملة البسيطة والجملة المركبة)، فقال: "الجملة وحدة تركيبية تؤدي معنى دلاليًا واحدًا، واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الارتباط والربط والانفصال في السياق ... وفي ضوء التعريف الذي اقترحته أرى أن الجملة العربية لا تخرج في تقسيمها عن نوعين اثنين لا ثالث لهما فأما الجملة البسيطة فهي التي تتضمن علاقة إسناد واحدة، سواء اشتملت على متعلقات بعنصري الإسناد أو بأحدهما أو لم تشتمل. . . وأما الجملة المركبة فهي التي تتضمن علاقتي إسناد فأكثر، سواء اشتملت على متعلقات بعناصر الإسناد أم لم تشتمل"[2].

ويعد هذا التعريف من أوضح التعريفات للجملة البسيطة والجملة المركبة؛ إذ بالغ كثير من النحاة في تشعيب الجملة البسيطة والجملة المركبة إلى أنواع كثيرة تُرْهِقُ الدارسين وتبعًا لهذا التعريف إذا وجدنا في الجملة إسنادًا واحدًا فهي جملة بسيطة مثل:

- يفرح المجتهد بنجاحه.
- أتى محمدٌ ضاحكًا.
- محمدٌ تلميذٌ مهذبٌ.

وإذا وجدنا في الجملة إسنادين أو أكثر فهي جملة مركبة مثل:

- حضرَ محمدٌ وعليٌ يبكي.
- واللهِ إنَّ الحقَّ لمنتصرٌ.
- منْ يزرع الشوكَ يجن الجراحَ.

<u>ولننظر الآن إلى مثال تطبيقي على هذه الخصيصة من المُفصَّل للزمخشري:</u>

<u>- تحليل أسلوب الشرط (الجملة الشرطية):</u>

كان الزمخشري من أوائل النحاة الذين عدُّوا الجملة الشرطية (أسلوب الشرط) قِسمًا مستقلًا من أقسام الجملة؛ إذ قَسَّمَ الجملة إلى أربعة أقسام: جملة اسمية، وجملة فعلية، وجملة شرطية، وجملة ظرفية. يقول الزمخشري عند حديثه عن أنواع الخبر الجملة: "والجملة على أربعةِ أضربٍ: فعليَّةٍ،

---

[1] - البعد الدلالي والشكلي للإعراب: (دراسة في البنية التركيبية النحوية)، هاني جيلاني، بديار بشير، مجلة إشكالات في اللغة والأدب،
مجلد ١٠، عدد٣، السنة ٢٠٢١، ص ٦٤٧.

[2] - نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ص١٤٩،١٤٨.

واسميَّةٍ، وشرطيَّةٍ، وظرفيَّةٍ، وذلك: زيدٌ ذهَبَ أخوه، وعمرٌو أبوه مُنطلقٌ، وبكرٌ إن تُعْطِهِ يَشْكُرْكَ، وخالدٌ في الدَّار"[1].

وقد أثار هذا التقسيم اختلافًا واسعًا بين النحاة قديمًا وحديثًا- ليس هذا مجال تفصيله- فلنعد الآن إلى محور حديثنا لنرى كيف حلَّل الزمخشري أسلوب الشرط (الجملة المركبة) إلى جملتين بسيطتين:

لقد حرص الزمخشري - كغيره من نحاة الجملة - على تحليل أسلوب الشرط إلى جملتين: (جملة الشرط وجملة جواب الشرط)، يقول الزمخشري في المفصل: "ومن أصناف الحرف حرفا الشرط، وهما ((إنْ و لوْ)) يدخلان على جُملتين، فيجعلان الأولى شرطًا والثانية جزاءً، كقولك: إنْ تضربْني أضربْك، ولو جئْتَنِي لأكرمتُك "[2]. فأسلوب الشرط عند الزمخشري وغيره من نحاة الجملة، جملة مركبة تتكون عند تحليلها من: أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط.

وقد عرض الزمخشري بعض الحالات التي يمكن تحليل أسلوب الشرط فيها إلى ثلاث جمل، ومن ذلك:

- إذا ولي حرفَ الشرطِ اسمٌ، يقول الزمخشري استكمالًا لحديثه عن حرفي الشرط (إن ، ولو):

"ولا بدَّ من أن يليهما الفعل، ونحو قوله تعالى: ((**لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ**)) (**الإسراء من الآية: ١٠٠**)، و((**إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ**)) (**النساء: من الآية ١٧٦**) على إضمار فعل يُفسره هذا الظاهر، ولذلك لم يَجُزْ: (لو زيدٌ ذاهبٌ)، ولا (إنْ عمرٌو خارج) "[3].

وبذلك يكون أسلوب الشرط (إن عمرٌو حضرَ أكرمْه) جملة مركبة يمكن تحليلها إلى:

أداة الشرط + جملة فعلية مُفسَّرة + جملة فعلية(جملة الشرط) + جملة جواب الشرط

إن + (حضر) عمرو + حضر(هو) + أكرمْه.

وقد وضح ذلك ابن يعيش؛ فقال: "وارتفاع الاسم بعد (إنْ) هنا عند أصحابنا على أنه فاعلُ فعل محذوف، فسَّره هذا الظاهرُ، . . . لا يجيز البصريون إلَّا ذلك"[4].

٣ – **<u>الاطِّراد</u> :**

لقد حرص نحاة الجملة على أن تتصف قواعدهم بالاطراد، الذي يعني استقرار القاعدة وسريانها على أغلب أفراد الظاهرة التي تعبر عنها القاعدة، فالقاعدة النحوية "وصف لسلوك معين في تركيب اللغة، ويُلاحَظ أن يكون هذا السلوك مُطَّردًا حتى يعبر عنه بالقاعدة"[5].

وهذا الاطراد الذي تتصف به القاعدة النحوية، لا يتأتى بسهولة؛ إذ تسبق مرحلة التقعيد مرحلتان تضمنان تحقق الاطراد - إلى حد كبير- وهما مرحلة الاستقراء للظاهرة اللغوية ثم مرحلة التقسيم والتجريد، يقول الدكتور محمد حماسة: "وبَدَهِيٌّ أن دور التقعيد بالمعنى المقصود هنا يأتي بعد الاستقراء، والتقسيم والتجريد، ويتحقق ذلك بأن ينظر الباحث في أنواع التشابه المطردة بين المفردات التي تم استقراؤها فيصفها بعبارة مختصرة نحو: حين يقع الاسم مُسندًا إليه يكون مرفوعًا،

---

[1] - المفصل في صنعة الإعراب: ص٧١.
[2] - المفصل في صنعة الإعراب: ص ٤٣٧.
[3] - المفصل في صنعة الإعراب: ص٤٤٠.
[4] - شرح المفصل لابن يعيش: ج ٥، ص ١٢٢.
[5] - لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ط١، ص ٥٨.

ولا يتحول عن هذا الرفع إلا في حالات خاصة"[1]. وهذا الاطراد لا يعني أن الظاهرة تتصف بالشمول دائمًا وإن كانت يجب أن تتصف بالعموم "ومعنى ذلك أن القاعدة لا بد أن تنطبق على جمهرة مفرداتها، وليس من المحتم أن تشملها جميعًا فلا يشذ عنها شيء"[2].

وحتى تتصف القواعد النحوية بالاطراد :

أولًا: حَرَصَ النحاة على استناد قواعدهم على الشواهد المطردة الواردة بكثرة في القرآن الكريم بقراءاته، وكلام العرب شعره ونثره .

ثانيًا: اعتنى نحاة الجملة وبخاصة البصريون بالقياس اعتناءً كبيرًا، بل اعتبروا أن "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[3]، وقد هاجم البصريون الكوفيين الذين أخذوا يبحثون عن كل ما يكسر أقيستهم وقواعدهم، معتمدين في سبيل ذلك على شواهد غير مطردة.

ثالثًا: حَرَصَ نُحاة الجملة على اللجوء إلى مجموعة من الوسائل للحفاظ على سير قواعدهم على نظام مطرد، تلك الوسائل تتمثل في: التأويل والحذف والتقدير والإضمار والاستتار والتضمين والنيابة وهي في مجموعها تمثل نظامًا مساندًا ومكملًا للنظام الأساسي وقواعده العامة[4].

رابعًا: أسهمت نظرية العامل - رغم ما وُجِّهَ إليها من نقد- إسهامًا كبيرًا في صياغة قواعد نحو الجملة صياغة مطردة، بل تكاد تكون نظرية العامل النظرية الوحيدة التي جاءت في تراثنا النحوي مكتملة العناصر، قائمة على أسس واضحة، تشهد لنحاتنا العرب بالعبقرية اللغوية، والقدرة على استنباط القواعد بدقة، هذا الاستنباط القائم على ملاحظة الشواهد المطردة في القرآن الكريم وكلام العرب بالدرجة الأولى، والدليل على ذلك أن معظم العوامل النحوية هي عوامل لفظية، والقليل منها عوامل معنوية.

خامسًا: اللجوء إلى العلل الصوتية لتفسير خروج بعض الشواهد عن القاعدة، وبذلك نجح نحاة الجملة في تبرير ما قد يبدو خارجًا عن قواعدهم النحوية في ضبط الحرف الأخير للكلمة، بتوضيح تفسيرات صوتية لذلك مثل: الإتباع والتخفيف والمناسبة، ومن الأمثلة المشهورة في تراثنا النحوي جر كلمة (خرب) على المجاورة في قول العرب:(هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ).

ولننتقل الآن إلى المفصل لنأخذ هذا المثال على حرص الزمخشري على اطراد القاعدة النحوية: - الاعتماد على السماع والقياس:

يقول الزمخشري في المفصل عن التغييرات التي تحدث على الاسم ليصير اسما منسوبًا: "والتغييرات على ضَرْبَيْن: جارية على القياس المُطَّرد في كلامهم، ومعدولة عن ذلك. فمن الجارية على قياس كلامهم حذفُهم التاء ونُونَيْ التثنية والجمع كقولهم: (بَصْرِيّ وهِنْدِيّ وزَيْدِيّ) في (البَصْرَة والهندان والزيدون) اسمين . . . ومن المعدولة عن القياس قولهم: (بَدَوِيّ وبِصْرِيّ وعُلْوِيّ وطائِيّ وسُهَلِيّ ودُهْرِيّ وأُمَوِيّ وثَقَفِيّ وبَحْرَانِيّ وصَنْعَانِيّ وقُرَشِيّ وهُذَلِيّ) قال: (الطويل)

هُذَيْلِيَّةٌ تَدْعُو إِذا هِيَ فاخَرَتْ أَبًا هُذَلِيًّا مِنْ عُطارِفَةٍ نُجْدِ " [5].

---

[1] - المرجع نفسه: ص ٥٧: ٥٨.

[2] - المرجع نفسه، ص: ٥٨.

[3] - الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المكتبة العلمية، ج ١، ص ٣٥٧.

[4] - النظرية اللغوية في التراث العربي، د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٥٨.

[5] - المفصل في صنعة الإعراب: ص٢٦٤ ، ٢٧٢.

يلاحظ في هذا النموذج - بوضوح- اعتماد الزمخشري - كغيره من نحاة الجملة- في استنباط قاعدته النحوية على القياس والسماع معًا؛ ليُحقق بهاتين الدُعامتين اطراد القاعدة النحوية، هذا الاطراد الذي لا يُلغي ما ورد به السماع مخالفًا للقياس، بل كان الزمخشري حريصًا على التأكيد على أن القياس نفسه الذي اعتمد عليه قائم على ما اطرد سمعه عن العرب " القياس المطرد في كلامهم".

ومن ثَمَّ فقد قسم الزمخشري التغييرات التي تطرأ على الاسم ليصير اسمًا منسوبًا إلى قسمين: قسم مطرد في كلام العرب كثير عندهم؛ لذلك اتَّكَأتْ عليه القاعدة العامة، وقسم آخر سُمِعَ عن العرب مخالفًا القسم الأول لكنه لم يبلغ وروده عنهم نسبة كبيرة كالقِسْمِ الأول بل هو قليل أو شاذ، يقول ابن يعيش: "وجملة الأمر أن تغيير النَّسَبِ على ضَرْبَيْن: أحدهما قياس مطرد لكثرته عنهم، فيجري لذلك مجرى رفع الفاعل ونصب المفعول. والآخر ما لا يطرد فيه القياس، بل يُسْمَع ما قالوه، ولا يُتجاوز"[١]، وبذلك يكون هذا الشاهد الشعري الذي أورده الزمخشري جامعًا بين الاسم المنسوب القياسي (هُذَيْلِيّةٌ) والاسم المنسوب السماعي (هُذَلِيًّا) خير دليل على قيام القواعد النحوية عند نحاة الجملة على القياس والسماع معًا؛ ليتحقق بذلك اطراد القاعدة النحوية.

٤- المعيارية:

إن الظروف التي أحاطت بنشأة نحونا العربي - نحو الجملة -، والغاية الأولى التي من أجلها وُجد وهي صون الألسن عن اللحن في آي القرآن الكريم، كل ذلك جعل النزعة المعيارية هي الغالبة عليه، فـ "لقد وضعت الأنحاء التقليدية الغاية المعيارية نُصْبَ عينها، فدارت أكثر تعريفاتها - ومن بينها النحو العربي - على أنه علم يُعْرَفُ به الصواب والخطأ، وتتحقق به السلامة للكلام كتابة وقراءة" [٢].

وقد رَدَّ الدكتور سعد مصلوح على من جعلوا معيارية اللغة ونحوها، راجعة إلى التأثر بدراسة المنطق، مُؤكِّدًا أن النزعة المعيارية سبقت هذا التأثر الذي ظهر في قرون لاحقة بعد ظهور النزعة المعيارية، وقد أرجع هذه المعيارية إلى ارتباط ظهور النحو العربي بغاية دينية وهي حفظ الألسن من اللحن في القرآن الكريم.[٣] ومن ثَمَّ فقد ظهرت النزعة المعيارية ابتداءً لارتباط النحو العربي بالغاية الدينية، ثم ترسخت وبسطت نفوذها بسبب التأثر بالمنطق في القرون التالية.

والجدير بالذكر أن غَلَبَة النزعة المعيارية لا تعني خلو نحونا العربي من ملامح المنهج الوصفي، بل إن هذه القواعد المعيارية التي توصل إليها نحاتنا اعتمدت على الاستقراء والتتبع للظواهر اللغوية، وملاحظتها، ومن ثَمَّ تُعَدُّ المعيارية نتيجة وثمرة لمجهود وصفي استقرائي وإن لم يلتزم هذا المجهود بجميع ضوابط المنهج الوصفي الحديث، فإن "أية معايير لا تنبني على وصف صحيح تكون خطأ، أو تكون عُرْضَةً لذلك على نحو كبير، كما أن الوصف الذي لا ينتهي بمعايير يُبقي الظاهرة بلا دراسة حقيقية؛ إذ ستخلو الدراسة من الكليات أو القواعد العامة والتفصيلية . . . ويمكن تمثيل العلاقة بين الوصف والمعيار بالرسم التالي:

الوصفية ← التعميم المعيارية "[٤].

---

[١] - شرح المفصل، ابن يعيش: ج٣، ص ٤٤٢.

[٢] - العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح ، الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية، جامعة الكويت، عبد السلام هارون:
معلما ومؤلفا ومحققا، ١٩٩٠م، ص ٤١٢.

[٣] - انظر: في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات: ص ٢٧١.

[٤] - النظرية اللغوية في التراث العربي: ص ٦٣.

والآن، لنتوقف عند هذا النموذج للنزعة المعيارية في المفصل للزمخشري: - الضرورة الشعرية:

تناول الزمخشري في باب "المنصوب باللازم إضماره" المنادى الموصوف بـ (ابن وابنة) ثم استطرد ليضع قاعدة معيارية لكل عَلَم موصوف بـ (ابن أو ابنة) ومضمون هذه القاعدة المعيارية يتضح لنا في قوله " وقالوا في غير النداء أيضًا إذا وصفوا: هذا زيدٌ ابنُ أخينا، وهندٌ ابنةُ عمِّنا، وهذا زيدُ بنُ عمرو وهندُ بنتُ عاصم، وكذلك النصبُ والجرُّ، فإذا لم يصفوا فالتنوين لا غيرُ"[١].

ويُفهَم من هذا: أن العَلَم إذا وُصف بـ (ابن أو ابنة) مضافة إلى علم يدل على أبي العَلَم الأول أو أمه لا يُنوَّن العَلَم الأول (هذا زيدُ بنُ عمرو وهندُ ابنةُ عاصم)، وإذا كانت مضافة إلى غير ذلك ينون (هذا زيدٌ ابنُ أخينا، وهندٌ ابنةٌ عمنا)، ولكن هذه القاعدة المعيارية قد ورد في الشعر ما يخالفها، ولذلك نجد الزمخشري حتى يحافظ على معيارية القاعدة يبرر هذه المخالفة بأنها من ضرورة الشعر؛ إذ يقول: "وقد جوَّزوا في الوصف التنوينَ في ضرورة الشعر كقوله: (الرجز)

جَارِيَةً مِنْ قَيْسِ بن ثَعْلَبَـهْ "[٢] (*)

لقد نشأ هذا المظهر من مظاهر المعيارية في قواعد النحاة؛ لأنهم طبقوا قواعدهم على كل المستويات اللغوية؛ ومنها الشعر الذي يخضع قائله لقواعد الوزن والقافية، تلك القواعد التي لا يخضع لها المتحدث العادي، ومن ثمَّ كان ظهور الضرورات الشعرية بكثرة في كتب نحو الجملة.

ثانيًا: من معايير نحو النص في الكشاف (السبك – الحبك):

إن معياري السبك (cohesion) والحبك (coherence) معًا يرتبطان بالنص ارتباطًا مباشرًا؛ إذ إن وجودهما معًا يضمن للنص الترابط النحوي والانسجام الدلالي، وغيابهما معًا أو غياب أحدهما، يُفقِدُ الكلامَ صفة النصية من الأساس فلا يمكن حينئذٍ أن نطلق عليه (نصًّا).

(أ) السبك في الكشاف

مفهوم السبك وأدواته:

اختلف اللسانيون العربُ في ترجمة المصطلح (cohesion) إلى العربية؛ فظهرت له مصطلحات عربية كثيرة مثل: السبك والتضام والتماسك والربط النحوي وغيرها.[٣]

يرى دي بوجراند ودرسلر أن السبك (cohesion) " اصطلاحٌ نحويٌّ يُعْنَى بكيفيةِ ترابطِ مكوناتِ البنيةِ السطحيةِ نحويًّا"[٤]، وقد عَرَّف الدكتور سعد مصلوح السبكَ تعريفًا قريبًا من ذلك؛ فقال: "الكَيفيةُ التي يتم بها ربطُ العناصرِ اللغويةِ على مستوى البنيةِ السطحيةِ في النَّصِّ بحيثُ يؤدي السابقُ إلى اللَّاحق"[٥]، ومن ثَمَّ تُعَرَّفُ السمةُ النَّصِّيةُ جودةُ السبك بأنها: "تَتَابُعٌ أُفقيٌّ متماسكٌ لوحْدَاتٍ لغويةٍ مترابطةٍ بشكلٍ مُتتابعٍ بنَاءً على أسسٍ مُحَدَّدَةٍ"[٦].

---

[١] - شرح المفصل لابن يعيش: ج١، ص ٣٣٣.

[٢] - شرح المفصل لابن يعيش: ج ١، ص ٣٣٣.

(*) صدر بيت منسوب للأغلب العجلي والبيت بتمامه: جَارِيةٌ مِنْ قَيْسِ بن ثَعلبه كَأَنَّها حِلْيَةُ سَيْفٍ مُذهَبَه (انظر: المفصل في صنعة الإعراب : ص ٨٨، و شرح المفصل: ج ١، ص ٣٣٥.)

[٣] - انظر: أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، رسالة ماجستير، عبد الخالق فرحان شاهين، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، ص ٥٤.

[٤] - السبك والحبك في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء اللسانيات النصية، رسالة دكتوراه، صالح محمد علي أبو شارب، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، ٢٠١٣م، ص٦٤.

[٥] - أصول المعايير النصية في التراث النقدي: ص ٥٧.

[٦] - مدخل إلى علم لغة النص: ص ٢١.

وقد حدد الدكتور أحمد عفيفي للترابط النصي (cohesion) سبع وسائل هي:[١]

١. إعادة اللفظ (التكرار) Recurrence .
٢. التضام Collocation .
٣. التعريف Definiteness .
٤. الإحالة Reference .
٥. الاستبدال Substitution .
٦. الحذف Ellipsis .
٧. الربط الرصفي Junction .

وسأتناول – بمشيئة الله تعالى – بعض هذه الوسائل بإيجاز وأمثل لكل منها بمثال واحد من الكشاف للزمخشري.

١ – إعادة اللفظ (التَّكْرار) Recurrence :

يعرف محمد خطابي التَّكرار بقوله: "شكلٌ من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادةَ عنصرٍ معجمي، أو ورودَ مُرادفٍ له، أو شِبْهِ مُرادفٍ، أو عنصرٍ مُطْلَقٍ، أو اسمٍ عامٍّ"[٢]. ويرى الدكتور يسري نوفل أن التكرار وسيلةٌ هامة لتحقيق ما يعرف بالوحْدَة العضوية، ووسيلةٌ مساعدةٌ للمُتَلقي لفهم النص وجذب انتباهه من خلال التكرار الصوتي.[٣]

كما يشير الدكتور السيد خضر إلى فائدة من فوائد التكرار على مستوى السورة القرآنية، وهي الإيحاء بالجو العام للسورة، مما يساعدنا في التوصل إلى ما يود أن ينقله النص للمتلقي.[٤] وقريب من هذا المعنى اشتراط الدكتور صلاح فضل للعنصر المكرر أن تكون نسبة تكراره عالية وأن يساعد هذا التكرار على الولوج إلى عالم النص وفك شفرته [٥].

ولننتقل الآن إلى نموذج من الكشاف يظهر اهتمام الزمخشري بظاهرة التكرار في تناوله النص القرآني:

نَبَّه الزمخشري على فائدة التكرير في قوله تعالى: ((فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)) (البقرة: ٥٩) إذ يقول: "وفي تكرير ((ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)) زيادةُ تقبيح أمرهم وإيذانٌ أنَّ إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف: ((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ)) (الأعراف: ١٣٣) ، على الإضمار"[٦].

---

[١] - انظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ص ١٠٥.

[٢] - لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط ١، ١٩٩١م، ص ٢٤

[٣] - المعايير النصية بين السور المكية والمدنية، دراسة تطبيقية (الأعراف والنساء نموذجًا)، د. يسري السيد إبراهيم نوفل، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة والإسكندرية، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م، ص ١٠١.

[٤] - انظر: التشكيل الجمالي في النظم القرآني، د. السيد خضر، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، ط ١، ١٤١١هـ - ٢٠٢٠م، ص ٥٦٧.

[٥] - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ص ٣٤٥.

[٦] - الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ)، وبحاشيته: الانتصاف للإمام أحمد بن المنير الإسكندراني، والكافي الشافي في

ولعل القارئ اليقظ للآيات التي تناولت قصة بني إسرائيل في سورة البقرة، يلاحظ شيوع مادة (ظلم) مرتبطة بسلوكيات بني إسرائيل، ومن ذلك: ((ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ)) (البقرة : ٥١)، ((وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ . . .)) (البقرة: ٥٤)، و((كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) (البقرة: ٥٧) ثم يأتي هذا التكرير في آية واحدة في الآية (٥٩) التي نحن بصددها وكان من الممكن الاستغناء عن هذا التكرير بالإضمار كما ألمح إلى ذلك الزمخشري بالإشارة إلى ورود الإضمار في آية سورة الأعراف ((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ)) (الأعراف: ١٣٣)، كل هذا يؤكد أن الظلم صفة لصيقة ببني إسرائيل لا تنفك عنهم في تصرفاتهم وهم يعيشون مع موسى عليه السلام، فكيف يكون ظلمهم الآن؟!

قال الإمام أحمد بن المنير السكندري (ت ٦٨٣هـ) - رحمه الله- تعليقًا على التكرير في هذه الآية الكريمة: ((فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝)) (البقرة: ٥٩): "وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضَعَ الظاهرَ موضعَ المُضْمَر، وهو مفيد لذلك، إذ هو إشهار لهذا المُعَيَّن مع إمكان الاختصار بالإضمار"[١].

٢- **التضام Collocation**:

التضام يعني "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[٢]. فإذا كان التكرار قائمًا على إعادة الكلمة، فإن التضام قائم على وجود كلمتين في النص بينهما علاقة ما، بحيث تسهم هذه العلاقة في تحقيق السبك النصي.

وقد اختلف الباحثون في تحديد العلاقات التي تندرج تحت التضام، فمنهم من أدخل فيها الترادف[٣]، ومنهم من لم يدخله، ومنهم من استنبط علاقة لم يُسبق إليها، وهي علاقة المنفعة التي تقوم على اشتراك الكلمتين في تحقيق منفعة ما، كـ (الفُلك) و(الأنعام) إذ يشتركان في تحقيق منفعة الركوب.[٤] وعلى كل حال فقد اتفق اللسانيون على اندراج العلاقات الآتية تحت التضام الذي يسهم في تحقيق السبك النصي:

١ - علاقة التضاد.
٢ - علاقة الملازمة.
٣- علاقة الجزء بالجزء.
٤ - علاقة الجزء بالكل أو الكل بالجزء.
٥ - علاقة الدخول في سلسلة.
٦ - علاقة الاندراج في صنف.

تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المرزوقي، حاشية للشيخ محمد عليان المرزوقي المذكور، اعتنى به ورتب حواشيه محمد السعيد محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٦م، ج ١، ص ١٥٦.

[١] - الكشاف : ج ١، حاشية ص ١٥٦.

[٢] - لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): ص ٢٥.

[٣] - انظر: إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم معلقة طرفة بن العبد نموذجًا، صالح حوحو، مجلة الأثر، العدد٢٣/ ديسمبر٢٠١٥م، ص ٢٢٣.

[٤] - انظر: التماسك النصي في القرآن الكريم دراسة نصية تطبيقية في سور الحواميم، د.فائزة الموسوي، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، ط١، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م، ص٢٢٢ : ٢٢٣.

ويرى الدكتور يسري نوفل أن هذه العلاقات أقرب إلى المجالات الدلالية أو الحقول الدلالية أكثر من التضام، وأنه لا يحكم على أيٍّ منها بالتضام إلا إذا وردت (الكلمتان) متلازمتين في نصٍّ ما في مواضع كثيرة، فتسهم حينئذ في صناعة التماسك النصي، أمَّا دون ذلك فهي ضمن المجالات الدلالية.[١]

ولا نعدم في تراثنا اللغوي والبلاغي الاهتمام بهذه العلاقات، فاهتمام علم البديع بعلاقة التضاد بَيِّنٌ، وقد أشار الجاحظ إلى علاقة التلازم بين لفظين؛ فقال: "وفي القرآن معانٍ لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس"[٢].

ولنأخذ مثالًا من الكشاف على إحدى علاقات التضام وهي علاقة الملازمة:

حيث لم يُغْفِل الزمخشري **الاهتمام بعلاقة التلازم** وإن لم يذكرها نصًّا، ولعل من أكثر الكلمات تلازمًا في النص القرآني كلمتا (السماء والأرض)، فهيا بنا نر كيف وظف الزمخشري هذا التلازم في الآية الثانية والعشرين من سورة البقرة، ولم يكتفِ بذلك بل ربط بين ما ينزل من السماء وما يخرج من الأرض ليبرز لنا تماسك النص القرآني.

قال – تعالى- : ((**ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾**)) (**البقرة:٢٢**)، يقول الزمخشري رابطًا بين هذه الآية الكريمة والآية السابقة لها وهي قوله تعالى: ((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)) (**البقرة: ٢١**): "قدم سبحانه من مُوجِباتِ عبادَتِه ومُلْزِمَاتِ حَقِّ الشكر له خلقُهم أحياءً قادرين أولًا؛ لأنه سابقةُ أصول النِّعَم ومُقَدِّمَتُها، والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما، ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرُّهم الذي لا بدَّ لهم منه، وهي بمنزلة عرصة المسكن ومُتَقَلَّبُهُ ومُفْتَرَشُهُ، ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المُطْنَبَة على هذا القرار، ثم ما سَوَّاه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المُقِلَّةِ والمُظِلَّة بإنزال الماء منها عليها، والإخراج به من بطنها أشباهَ النَّسْل المُنْتَج من الحيوان من ألوان الثمار رزقًا لبني آدم، ليكون لهم ذلك مُعْتَبَرًا . . . حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادًا وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر"[٣]. هكذا وَظَّف الزمخشري التلازم بين لفظي:(السماء) و(الأرض) في رسم لوحة مكتملة ليبرز لنا السبك النصي في أبهى صوره.

٣ – التعريف Definiteness :

ترجم الدكتور تمَّام حسَّان (Definiteness) إلى مصطلح (التحديد)، ثم استخدم مصطلح التعريف حينما دَلَفَ إلى الحديث عن الأدوات فلم يقل أداة التحديد وإنما قال أداة التعريف وأداة

---

[١] - انظر: المعايير النصية بين السور المكية والمدنية، دراسة تطبيقية (الأعراف والنساء نموذجًا) : ص ١١٤ : ١١٥.

[٢] - البيان والتبيين، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ج ١، ص ٢١.

- وانظر: المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، رسالة دكتوراه، حمادة محمد عبد الفتاح ، جامعة الأزهر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص٣٢.

[٣] - الكشاف، ج ١، ص ١٠٩.

التنكير، وكأن التعريف -عنده - أخص من التحديد.[1]وقد رأى روبرت دي بوجراند أن المتكلم حينما يستخدم التحديد؛ فإن هذا الاستخدام يكون ناتجًا عن النظر إلى المعنى من أحد منطلقين: الأول: منطلق منطقي يربط بين المعنى وقيمة الصدق فيما يتعلق بالوجود، والثاني منطلق نفسي يتعلق بالتواصل اللغوي حيث يكون للمتكلم حينئذٍ قصد مفهومي معين.[2]

وقد شرح روبرت دي بوجراند التعريف، بأنه: "وضع للعناصر الداخلة في عالم النص إذ تكون وظيفة FUNCTION كل منها لا تحتمل الجدل في سياق الموقف. ويعني أن تُحَدِّد الوضع Status باسم علم مثلًا، أو بصفة هي معرفة أنك تقول للسامع أو القارئ إن المحتوى المفهومي المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلومية المنشطة بالفعل"[3].

وفي تراثنا النحوي نجد اهتمامًا كبيرًا بـ (أل) التعريف، إذ قسمها نحاتنا إلى نوعين: عهدية وجنسية، ثم قسموا كل نوع إلى ثلاثة أقسام، فـ (أل) العهدية تشمل: - العهد الذِّكري مثل قوله تعالى: **((إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ۝))**. **(المزمل: ١٥: ١٦)**

- العهد الذهني مثل: **((لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ))** **(الفتح: ١٨)**

فشجرة الرضوان يعرفها المخاطب (الرسول محمد صلى الله عليه وسلم).

- العهد الحضوري مثل: جاءني هذا الرجل.

و(أل) الجنسية تشمل: - استغراق أفراد الجنس، مثل: **((خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ))** **(الأنبياء ٣٧).**

- استغراق خصائص الأفراد، مثل: زيدٌ الرجلُ علمًا. أي الكامل في هذه الصفة.

- تعريف الماهية، مثل: **((وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ))** **(الأنبياء: ٣٠)** [4]

وقد تناول كثير من النصيين أداة التعريف (أل) ضمن وسائل الإحالة، إذ "يساهم التعريف الذي يُعَدُّ وسيلةً من وسائل الاتساق الإحالية في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، من خلال استعادة لفظة سابقة في شكلٍ هو أكثر تحديدًا من شكل ورودِها الأول في النص، أو إيرادِ لفظةٍ ما في صورةٍ معينة تُمَكِّنُ المتلقيَ من تمييز ما تحيل إليه سواء في النص، أو في الواقع"[5] .

---

[1] - انظر: النص والخطاب والإجراء، تأليف روبرت دي بوجراند، ترجمة الدكتور تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٣٠٧، ٣١٠.

[2] - السابق: ص ٣٠٧ .

[3] - السابق: ص ٣١٠.

[4] - انظر: - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج ١، ص ٦٠ : ٦٢.
- المفصل، للزمخشري، ص ٤٤٤ : ٤٤٥ .
- شرح المفصل للزمخشري، تأليف ابن يعيش، ج ٥، ص ١٣٨.

[5] - الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، الزهرة التوهامي، المركز
الجامعي أكلي محند أولحاج، البويرة، ٢٠١٠ – ٢٠١١م، ص ٧٢.

نموذج من الكشاف: ـ توقف الزمخشري عند التعريف بـ (أل) في قول الله تعالى: ((أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝)) (البقرة: ٥)، وربط بين هذا التعريف وبين استخدام اسم الإشارة وتكريره في تحقيق السبك النصي؛ إذ يقول: "ومعنى التعريف في (ٱلْمُفْلِحُونَ): الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانًا قد تاب من أهل بلدك، فاستخبرت من هو؟ فقيل: زيد التائب، أي هو الذي أُخْبِرْتَ بتوبته. أو على أنهم الذين إن حَصُلْتَ صفة المفلحين وتحققوا ما هم، وتصوَّروا بصورتهم الحقيقية، فهم هم لا يَعْدُونَ تلك الحقيقة. كما تقول لصاحبك: هل عَرَفتَ الأسَدَ وما جُبِلَ عليه مِنْ فَرْطِ الإقدام؟ إن زيدًا هو هو. فانظر كيف كَرَّرَ الله -عز وجل- التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى، وهي: ذكر اسم الإشارة، وتكريره، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك لِيُبْصِّرَك مراتبَهم ويُرَغِّبَكَ في طلب ما طلبوا، ويُنَشِّطَكَ لتقديم ما قَدَّمُوا، ويُثَبِّطَكَ عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمَتُه ولم تسبق به كلمَتُه".[١]

وقد تناول ابن عاشور هذا التعريف مؤكدًا على ما ذهب إليه الزمخشري، وداعمًا له بما قاله عبد القاهر في الدَّلائل، يقول ابن عاشور:" فأمَّا إذا كان التعريف للجنس وهو الظاهر، فتعريف المسند إليه مع المسند من شأنه إفادة الاختصاص غالبًا لكنه هنا مُجَرَّدٌ عن إفادة الاختصاص الحقيقي، ومُفيدٌ شيئًا من الاهتمام بالخبر، فلذلك جُلِبَ له التعريفُ دون التنكير وهذا مَثَّلَهُ عبد القاهر بقولهم: هو البطلُ الحامي. أي إذا سمعت بالبطل الحامي وأحطتَ به خبرًا فهو فلانٌ. وإليه أشار في الكَشَّاف . . ."[٢].

٤ - الإحالة Reference :

عرَّف ميرفي الإحالة بأنها: "تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذُكِر صراحةً أو ضمنًا في النص الذي سبقه أو الذي يليه"[٣]. ويشير التعريف السابق إلى دور الإحالة في تحقيق الربط والسبك بين أجزاء النص، وجعل المتلقي في حالة يقظة ليدرك المحال إليه؛ وبذلك تُسهم الإحالة في تحقيق الكفاءة النصية التي تعني: "صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل"[٤].

ولكي تنجح الإحالة في تحقيق دورها في سبك النص وتماسكه ينبغي أن يوجد تطابق دلالي بين المحيل والمحال إليه، كما ينبغي ألَّا يوجد غموضٌ يُرهِق المتلقي في تحديد ما يشير إليه المحيل.

وقد اهتم علماؤنا القدماء بالإحالة، يتضح ذلك في اهتمامهم بتصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة تدل على مُسَمَّاها بذاتها، وألفاظٍ مُبْهَمَةٍ لا يتضح مدلولها إلا من خلال ارتباطها بما ورد في السياق النصي أو ما تشير إليه في السياق المقامي، كما يتضح هذا الاهتمام في قيام نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني على الترابط بين العبارات، ذلك الترابط الذي لعبت فيه العناصر الإحالية دورًا بارزًا.[٥] وقد قُسِّمَت الإحالةُ إلى: إحالة نصية (داخلية) يكون فيها المحال إليه واردًا في النص،

---

[١] - الكشاف: ج١، ص ٦٥ .

[٢] - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م،الجزء الأول، الكتاب الأول، ص ٢٤٦.

[٣] - التماسك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية نصية في سور الحواميم: ص ٤٦ .

[٤] - النص والخطاب والإجراء : ص ٢٩٩.

[٥] - انظر: التماسك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية نصية في سور الحواميم: ص ٤٨.

وإحالة مقامية (خارجية) يكون المحال إليه فيها أحَدَ عناصر السياق الخارجي المحيط بالنص، وليس واردًا في النَّصِّ ذاتِه.

والجدير بالذكر أن الإحالة النصية أكثر تحقيقًا لتماسك النص من الإحالة الخارجية؛ "إذ يذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن الإحالة المقامية تساهم في خَلْق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر"[1].

كما أن الإحالة النصية تنقسم بدورها إلى إحالةٍ قَبْلِيَّةٍ يكون فيها المُحالُ إليه متقدمًا على المُحِيل في النص، وإحالةٍ بَعْدِيَّةٍ يكون فيها المحال إليه متأخرًا عن المُحيل. وإذا كان الفاصل بين المُحيل والمُحَال إليه طويلًا سُمِّيت الإحالةُ إحالةً ذاتَ مدًى بعيد، وإذا كان ذلك المُحيلُ والمُحالُ إليه في جملةٍ واحدةٍ كانت الإحالةُ إحالةً ذاتَ مدًى قصير.

ويُقْصَدُ بالعناصر الإحالية، تلك الألفاظُ التي سمَّاها الأقدمون ألفاظًا مبهمة، إذ "تطلق العناصر الإحالية - كما يعرفها الأزهرُ الزَّنَّادُ - على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاءٍ أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذِكْرُهُ في مَقَامٍ، وبين ما هو مذكورٌ في مَقَامٍ آخَرَ"[2].

هذه الألفاظ المبهمة التي لا يتضح معناها إلا بعناصر أخرى واردةٍ في النص أو مُتَضَمَّنَةٍ في السياق الخارجي للنص تشمل: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة وفقًا لهاليداي ورقية حسن[3] وضَمَّ إليها كثير من الباحثين الأسماء الموصولة أيضًا.

<u>ولنأخذ هذا النموذج من الكشاف على الاهتمام بالإحالة في تحقيق السبك النصي</u>: توقف الزَّمَخْشَرِيُّ عند الإحالةِ بالضمير في (قَالُوا)، والإحالةِ باسم الإشارة (تِلْكَ) في قول الله تعالى: **((وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾))** (البقرة: ١١١).

بالنسبة للضمير يقول الزمخشري: " الضميرُ في **((وَقَالُواْ))** لأهل الكتابِ من اليهود والنصارى.

والمعنى: وقالتِ اليهودُ: لن يدخلَ الجنة إلا مَنْ كان هُودًا، وقالتِ النَّصارى: لن يدخلَ الجنة إلا منْ كان نصارَى، فَلَفَّ بين القولين ثِقَةً بأنَّ السامعَ يَرُدُّ إلى كُلِّ فريقٍ قولَه، وأمنًا من الإلباسِ لِما عُلِمَ منَ التَّعادي بين الفريقين وتضليل كُلِّ واحدٍ منهما لصاحبه"[4]. فالإحالة هنا إحالة قبلية لعودة الضمير على (أهل الكتاب) المذكورين في الآية قبل السابقة، وهي قول الله تعالى: **((وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾))** (البقرة:١٠٩)، فالإحالة قد ربطت بين الآيتين؛ ليتحققَ سبكُ النصِّ.

---

[1] - لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي: ص ١٧ .
[2] - نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ص ١١٦ .
[3] - انظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص): ص ١٧ .
[4] - الكشاف: ج ١، ص ١٨٧ .

وبالنسبة للإحالة باسم الإشارة، فقد اهتم الزمخشري بإبراز ما تحيل إليه ليبرز لنا السبك النصي، إذ يقول: "فإنْ قُلتَ: لِمَ قيل: ((تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ))، وقولهم: ((لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ)) أمنيةٌ واحدةٌ؟ قُلتُ: أُشِيرَ بها إلى الأمانيِّ المذكورةِ وهو (الصحيح هي) أمنيتُهم أنْ لا يُنَزَّلَ على المؤمنينَ خيرٌ من ربهم، وأُمنيتُهم أن يردوهم كفارًا، وأمنيتُهم أن لا يَدخُلَ الجنة غيرُهم: أي تلك الأمانيُّ الباطلةُ أمانيُّهم ، وقوله: ((قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ)) مُتَّصِلٌ بقولهم ((لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ)) .

و((تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)) اعتراضٌ، أوْ أُريدَ أمثالُ تلكَ الأمنيةِ أمانيُّهم، على حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليهِ مَقامَه. يريدُ أنَّ أمانيَّهم جميعًا في البُطْلانِ مِثْلُ أمنيتِهم هذهِ"[1].

وقد اعترض صاحبُ الانتصافِ من الكشافِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ منصور (ابن المنير السكندري) على الرأي الأول للزَّمَخْشَرِيِّ من تفسيرِ المُحالِ إليهِ بمجموعةِ الأمانيِّ التي وردَ ذِكْرُها في الآياتِ السابقةِ، وذهبَ السكندريُّ إلى أنَّ المُحالَ إليهِ هو أمنيتُهم ألا يدخلَ الجنة غيرُهم وفَسَّرَ مجيءَ (أمانيُّهم) جمعًا، بشدةِ تَمَكُّنِ هذه الأمنيةِ في نفوسِهم وبلوغِها كُلَّ مَبْلَغ.[2]

ويذهبُ ابنُ عاشورٍ مَذْهَبَ ابنِ المنير في صَرْفِ الإحالةِ إلى أمنيةٍ واحدةٍ ولكنَّه علَّل مجيءَ أمانيِّهم جمعًا تعليلًا آخرَ، إذ رأى أنَّ ذلك يرجعُ لإحدى عِلَّتَيْنِ: الأولى: أنَّ هذه الأمنية وإن كانت واحدةً إلا أنَّها أمنيةُ كلِّ واحدٍ منهم فجاءتْ بصيغةِ الجمع لذلكَ. الثانية: الإشارةِ إلى أنَّ كُلَّ أمانيِّهم كهذه الأمنيةِ أي من بابِ التشبيهِ البليغ.[3].

(ب) الحبك في الكشاف

أولًا: مفهوم الحبك وآلياته:

إذا كان السبك يهتم بالترابط بين متواليات النص بأدوات ملفوظة واضحة؛ ليبدو سطح النص مستويًا، فإن الحبك يهتم بالترابط الدَّلالي المعنوي ليس فقط بين متواليات النص، بل بين فقرات النص وفصوله كذلك؛ لينشأ عن ذلك بناء معنوي متكامل.

يعد الحبك- إذًا- معيارًا فاصلًا بين ما يُعَدُّ نصًّا وبين ما لا يُعَدُّ نصًّا؛ إذ من دون الحبك يصير الكلام معاني متناثرة ليس بينها رابط، وإنْ توافر فيه السبك؛ لذلك فإن كلاوس برينكر Klaus Brinker يَعُدّ الحبك "المفهوم النواة في تعريف النص"[4]، ويُعَرِّفُ النص بأنه "مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية، تترابط بعضها مع بعض، على أساس محوري ـ موضوعي أو جملة أساس، من خلال علاقات منطقية دلالية"[5]، ويذهب كل من هاليداي ورقية حسن إلى ما يُفْهَمُ منه أن الحبك يعد فيصلًا في التمييز بين ما هو نصي وما ليس نصيًّا،[6] كذلك عَرَّف الدكتور سعد

---

[1] - الكشاف: ج ١، ص ١٨٧ : ١٨٨ .
(*) انظر: الكشاف: ج١، حاشية ص ١٨٨ .
[2] - انظر: الكشاف، ج ١، حاشية ص ١٨٧ : ١٨٨ .
[3] - انظر: التحرير والتنوير، ج ١، الكتاب الأول، ص ٦٧٣: ٦٧٤ .
[4] - النص والخطاب والاتصال، الدكتور محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة،٢٠١٤م، ص ٧١
وانظر: : الانسجام الدلالي عند أبي حيان الأندلسي من خلال تفسره البحر المحيط، د. الحسيني محمود علي موسى، ط١٤٣٩،١هـ - ٢٠١٨م، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، ص ٣١.
[5] - علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ص ١٠٩: ١١٠.
وانظر: الانسجام الدلالي عند أبي حيان الأندلسي من خلال تفسير البحر المحيط: ص ١٧ .
[6] - انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٨٨.

مصلوح الحبك بأنه: "الاستمرارية الدَّلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعَلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[١].

آليات الحبك:

أشار دي بوجراند إلى وسائل الحبك COHERENCE الذي سماه المترجم الدكتور تَمَّام حسَّان الالتحام : "وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي **CONCEPTUAL CONNECTIVITY** واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على: (١) العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص class inclusion ، (٢) معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، (٣) السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص Text PRESENTED KNOWLEDGE مع المعرفة السابقة بالعالم PRIOR KNOWLEDGE OF THE WORLD "[٢].

ويقصد دي بوجراند بالعناصر المنطقية تلك العلاقات الدَّلالية لا اللفظية التي تنشأ بين جمل النص، إذ تنتج عن العلاقات بين مضامين الجمل أو الفقرات، وهذه العلاقات كثيرة منها: السببية (التعليل)، والعموم والخصوص، والإيضاح بعد الإبهام، وقد أوصل أحد الباحثين هذه العلاقات إلى ست عشرة علاقة وعدَّ منها علاقة الاستئناف تلك العلاقة التي تنتج عن وقوع الجملة إجابة لسؤال مقدر يقتضيه السياق النصي.[٣]

هذه العلاقات الدلالية بين المتواليات الجملية، وبين الفقرات (البنى الصغرى) أيضًا لها دور كبير في تحقيق الاستمرارية الدلالية للنص بحيث لا يشعر القارئ أو المستمع بوجود ثَغْرات في انسياب المعاني وتكاملها فـ "العلاقات المفهومية هي حلقات الاتصال الملحوظة بين معاني التراكيب والجمل مما يؤدي إلى تسلسل الأفكار وترابط المعاني في عالم النص"[٤].

وبالنسبة للوسيلة الثانية عند دي بوجراند وهي (تنظيم الأحداث) فإنها لا تعني بالضرورة الترتيب الزمني الطبيعي المعتاد؛ وذلك لأن: [٥]

١- الخطاب أو النص لا يمكن أن يتضمن كل الأحداث كما هي في الواقع بل يتضمن جزءًا منها.
٢- ترتيب الأحداث في النص أو الخطاب يخضع لضوابط تداولية ومعرفية تجعله أحيانًا يخرج عن الترتيب المألوف.
٣- قائل النص قد يلجأ إلى ترتيب الأحداث مكانيًّا أو تراتبيّا دون الالتزام بالترتيب الزمني الطولي المعتاد.

وبالنسبة للوسيلة الثالثة للحبك عند دي بوجراند وهي(التماسك المعلوماتي) فإن هذا التماسك ينتج من التآلف الدلالي بين البنى الصغرى للنص من ناحية، كما ينتج من التآلف بين النص والسياق الذي ورد فيه من ناحية أخرى، لينتج عن هذا التآلف ما يسمى (البنية الكبرى للنص).

---

[١] - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ص ٨٩.
[٢] - النص والخطاب والإجراء: ص ١٠٣ .
[٣] - انظر: الانسجام الدلالي عند أبي حيَّان الأندلسي من خلال تفسيره البحر المحيط: ص ٢٧٠، ص ٣٧٨.
[٤] - المرجع نفسه: ص ٢٥١.
[٥] - انظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب،
وبيروت لبنان، ٢٠٠٠م، ص ١٥٠.

وحينما نتحدث عن البنية الكبرى فإننا قد تجاوزنا البحث عن العلاقات الدلالية بين الجمل إلى العلاقات الدلالية بين أجزاء أكبر سماها فان دايك (المشهد Episode) وهو يعني: "تتابع من القضايا- المتتاليات الجملية، يقدم قضية كبرى دلالية، واحدة متماسكة، وعلامة التحول من مشهد إلى آخر هو تحول في الزمن أو المكان أو المشاركين، ويتم الانتقال من مشهد إلى آخر عن طريق الكلمات الناقلة ، وبذلك ومن خلال هذا التدرج يمكن الوصول إلى البنية الكبرى للنص" [١] .

هذه البنية الكبرى تعني – إذًا- موضوع الخطاب أو المحور العام للنص، ذلك المحور الذي يربط بين أجزاء النص، ويلم ما قد يبدو للوهلة الأولى مشتتًا من بنيات صغرى، ولعل هذا يجرنا إلى مصطلح آخر استخدمه اللسانيون وهو مصطلح (التغريض) الذي "يشير إلى الكلمات الوظيفية الموجودة في النص، والتي تحيل إلى البنية الكبرى أو موضوع الخطاب."[٢] ولعل عنوان النص أبرز تلك الكلمات الوظيفية التي تسهم في حبك النص، والربط بين أجزائه.

ولننتقل الآن إلى الكشاف لنقتطف منه ما يدل على إدراك الزمخشري مفهوم الحبك النصي، واهتمامه به عند تحليل النص القرآني وتفسيره، ويمكن أن نستعرض هذا الجانب التطبيقي في النقاط الآتية:

١ – إدراك الزمخشري البنية الكلية للنص القرآني:

كان الزمخشري مدركًا أن القرآن الكريم في مجمله يشكل البنية العليا، التي تُعَدُّ بنية كبرى، وكل سورة قرآنية تُعَدُّ بنية أصغر في هذه البنية الكبرى، ويمكن التدليل على ذلك من خلال:

- إدراك الزمخشري أن النص القرآني بنية متكاملة تحتوي على معانٍ يُرَادُ إيصالُها للمتلقي، ويتضح هذا الإدراك من خلال تعليله تسمية سورةِ الفاتحة (أمَّ القرآن)، إذ يقول: "وتُسَمَّى أَمَّ القرآن ؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهْلُه، ومن التَّعَبُّدِ بالأمر والنهي، ومن الوعْدِ والوعيد"[٣]. وقد أورد البقاعي في علة تسمية الفاتحة أم القرآن أنها بمثابة العنوان أو الإجمال لمعاني القرآن ومحاوره الأساسية، تلك المحاور التي جاءت سُور القرآن الكريم تفصيلًا لها.[٤]
- إيراده الآراء التي تربط بين موضوعات السور، ومن ذلك ما أورده من آراء بأن ترك التسمية بين سورتي الأنفال والتوبة يرجع إلى تناولهما موضوعًا واحدًا هو القتال، يقول الزمخشري: "وقيل: سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة، كلتاهما نزلت في القتال، تعدّان السابعة من الطِّوَل وهي سبع وما بعدها المئون، وهذا قول ظاهر؛ لأنهما معًا مائتان وست، فهما بمنزلة إحدى الطول. وقد اختلف أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان، وتركت بسم الله الرحمن الرحيم، لقول من قال هما سورة واحدة".[٥] وقد جاء تفسير القرآن العظيم لابن لابن كثير موافقًا ما ورد في الكشاف في هذا الأمر إلى حد بعيد.[٦]

---

[١] - أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص ٦٠.
[٢] - أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص ٦٠.
[٣] - الكشاف، ج ١، ص ٢١.
[٤] - انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر المتوفى سنة ٨٨٥هـ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٤٥هـ - ١٩٩٥م، ج١، ص ٢٠، ٢١، ٢٢.
[٥] - الكشاف، ج ٢، ص ٢٣٨.
[٦] - انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل الحافظ عماد الين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، المكتبة التوقيفية، بالقاهرة، ومكتبة الإيمان بالمنصورة، ج ٢، ص ٣٣٨.

٢ – **التغريض في الكشاف: يتجلى ذلك في:**

- اهتمامه أحيانًا باسم السورة كمدخل لموضوعها ، ومحورها الرئيس، ومن ذلك اهتمامه بتعديد أسماء سورة التوبة- قبل تناوله آياتها بالتفسير- ثم تعليل هذه الأسماء بربطها بالموضوع الرئيس فيها والمحور العام لها؛ إذ يقول الزمخشري: "لها عدة أسماء: براءة التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المُنَكِّلة، المُدَمْدِمَة، سورة العذاب، لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تُقَشْقِشُ من النفاق أي تُبَرِّئُ منه، وتُبَعْثِر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتُنَكلهم وتُشَرِّد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم. وعن حذيفة رضي الله عنه: إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحدًا إلا نالت منه."[١]. وقريب من ذلك إشارته إلى أن سورة النحل تسمى سورة النِّعم، وذلك قبل أن يتناول آياتها بالتفسير.[٢]

  وقد جاء في نظم الدرر" وقد ظهر لي . . . أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه"[٣].
- ويركز الزمخشري كثيرًا على توضيح اسم السورة بطريقة غير مباشرة، من خلال الإفاضة في تفسير الآية الأولى التي كثيرًا ما تحوي اسم السورة، ومن ذلك: سورة الأنفال حيث تناول تعريف النَّفْل وأحكامه[٤]، وسورة الفتح حيث بين المقصود بالفتح، وظروف نزول السورة وهو وهو ما يعد تهيئة للقارئ لإدراك السورة وجوها العام[٥]، وسورة المُزَّمِّل حيث توقف طويلًا أمام لفظ المزمل، وتناوله بالتحليل اللغوي والتفسير السياقي الذي يعد كاشفًا عن محور السورة وموضوعها.[٦]

٣- **تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف**: اهتم الزمخشري بإبراز تنظيم الموضوعات وترتيبها في النص القرآني، ومن ذلك:

- ما قاله الزمخشري في تفسير الآيات الخمس الأوَل في سورة الحجرات ((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥**)) (سورة **الحجرات : ١-٥**)، حيث قال: "فتأمل كيف ابْتُدِئ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله

---

[١] - الكشاف، ج ٢، ص ٢٣٧.
[٢] - انظر: الكشاف: ج ٢، ص ٥٧٩.
[٣] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج١، ص ١١ : ١٢.
[٤] - انظر: الكشاف: ج ٢، ص ١٩٠.
[٥] - انظر: الكشاف: ج ٤، ص ٣٢٩.
[٦] - انظر: الكشاف: ج ٤، ص ٦٣٦.

ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد، ثم أردف ذلك النَّهْيَ عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر. كأن الأول بساط للثاني ووطأه لذكره ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم، دلالة على عظيم موقعه عند الله، ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم: من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر، كما يصاح بأهون الناس قدرًا، لينبه على فظاعة من أجروا إليه وجسروا عليه؛ لأن من رفع الله قدره على أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار، كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغًا"[1].

- أشار الزمخشري إلى الترتيب بين المقاطع في سورة البقرة فقال: "افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم. ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرًا وباطنًا قلوبًا وألسنة. ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم: ((**مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ**)) (**النساء: ١٤٣**) وسماهم المنافقين)."[2]

- وإذا كان اللسانيون المحدثون أشاروا إلى إمكانية خروج تنظيم الأحداث عن الترتيب التسلسلي المعتاد لأسباب تداولية، فإن الزمخشري قد سبقهم في ذلك، فقد أشار الزمخشري إلى خروج النص القرآني في قصة البقرة التي وردت في سورة البقرة عن الخط الطولي المعهود لتسلسل الأحداث، إذ إن قتل الرجل والبحث عن قاتله –في الواقع- سبق أمر سيدنا موسى بني إسرائيل بذبح بقرة، ولكن النص القرآني أورد قصة ذبح البقرة أولًا، ثم أورد قصة الرجل القتيل بعد ذلك فما الحكمة من ذلك؟ يقول الزمخشري: "كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدًا لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعًا لهم عليها . . . وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك. والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة. وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع. ولقد روعيت نُكْتَةٌ بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وُصِلتْ بالأولى، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله ((**فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا**)) حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنية بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة"[3].

٤ ـ الحرص على نفي ما يُتَوَهَّمُ من تفكك النص القرآني وإثبات حبكه وتماسكه: ومن ذلك:

- حرصه على إظهار الترابط والحبك بين قول الله تعالى: ((**وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩**))

---

[1] - الكشاف: ج٤، ص ٣٥٦.
[2] - الكشاف: ج ١، ص ٧٢.
[3] - الكشاف: ج ١، ص ١٦٦.

(البقرة: ١٨٩) بما قبله وهو قول الله تعالى: ((يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ)) (البقرة: ١٨٩) ونفي ما قد يتوهم من تفكك النص إذ يقول الزمخشري: " ((وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ)) بتحرجكم من دخول الباب ((وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ)) بر((مَنِ ٱتَّقَىٰ[1])) ما حَرَّم الله. فإن قلت: ما وجه اتصاله بما قبله؟ قلت: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها: معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده، فدَعُوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برًّا. ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج، لأنه كان من أفعالهم في الحج. ويحتمل أن يكون هذا لتعكيسهم في سؤالهم، وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره . والمعنى: ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله. ثم قال: ((وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا)) أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تُبَاشَرَ عليها ولا تعكسوا. والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب، من غير اختلاج شُبْهَةٍ ولا اعتراض شَكٍّ في ذلك حتى لا يسأل عنه؛ لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك ((لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ))(الأنبياء: ٢٣))"[1] . وقد سلك محيي الدين الدرويش مسلك الزمخشري في تأويل هذه الآية.[2]

٥ـ العلاقات الدلالية: اهتم الزمخشري بالعلاقات الدلالية التي تسهم في حبك النص القرآني، ومن ذلك:

أ ـ **علاقة الاستئناف:** وهي من أكثر العلاقات التي اهتم بها الزمخشري في تفسيره، وقد جاءت أحيانًا متداخلة مع علاقات أخرى من العلاقات التي سنعرضها، ومن أمثلة علاقة الاستئناف في الكشاف:

- ما قاله الزمخشري عند تناول قول الله تعالى: ((وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ)) (سورة الأنعام: ١٢٤) حيث قال: "((ٱللَّهُ أَعْلَمُ)) كلام مستأنف للإنكار عليهم، وأن لا يصطفي للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها

---

[1] - الكشاف: ج ١، ص ٢٤٦.

[2] - انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر، بيروت، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية، ط ٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٧٧.
(*) وردت في الكشاف (باستجابتهم لحرمان) ولعله خطأ مطبعي.

فيه منهم."[1]. وقد أورد التفسير الوسيط قول الإمام الآلوسي:"وجملة ((ٱللَّهُ أَعۡلَمُ)) . . .إلخ)) استئناف بياني، والمعنى: أن منصب الرسالة ليس مما يُنَال بما يزعمونه من كثرة المال والولد، وتعاضد الأسباب والعدد، وإنما يُنَال بفضائلَ نفسانية، ونفس قُدُسِيَّة أفاضها الله- تبارك وتعالى- بمحض الكرم والجود على من كمل استعداده"[2]

ب – علاقة التعليل:

- من التعليل ما أورده الزمخشري عند تفسيره قول الله تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ)) (الحج: ١) حيث قال: "أمَرَ بني آدمَ بالتَّقْوَى، ثُمَّ علَّلَ وجوبَها عليهم بذكرِ الساعةِ ووصفِها بأهولِ صِفَةٍ، لينظروا إلى تلك الصِّفَةِ ببصائِرِهِم، ويتصوَّرُوها بعقُولِهم، حتى يُبْقُوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم، بامتثال ما أمَرَهم به ربُّهم من التَّرَدِّي بلِباس التقوى، الذي لا يُؤَمِّنَهُم من تلك الأفْزاع، إلا أنْ يَتَرَدُّوا به"[3].وقد جاء تفسير البحر المحيط موافقًا الزمخشري في توضيح علاقة التعليل أو السببية في جملة ((إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ)) فهي سبب للأمر باتقاء الله تعالى.[4]

ج – علاقة الاعتراض:

- من علاقة الاعتراض قول الزمخشري عند تفسيره قول الله تعالى: ((فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ)) (الروم: ١٧: ١٩) حيث قال: "((وَعَشِيّٗا)) متصل بقوله: ((حِينَ تُمۡسُونَ)) وقوله: ((وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)) اعتراض بينهما. ومعناه: إنَّ على المميزين كُلِّهم من أهل السماوات والأرض أن يحْمدوه"[5]. وإلى هذا الاعتراض ذهب ابن عاشور في التحرير والتنوير، وبين قيمته أنه تذكير بأن الله تعالى ليس في حاجة إلى تسبيح المؤمنين فهو محمود في السماوات والأرض فَنَفْعُ التسبيح يعودُ على المُسَبِّح.[6]

---

[1] - الكشاف، ج ٢، ص ٦٢.
[2] - التفسير الوسيط للقرآن الكريم تفسير سورة الأنعام ، الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الديار المصرية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ط ٤، القاهرة، ص ٢٣٣: ٢٣٤ .
[3] - الكشاف، ج ٣، ص ١٤٠.
[4] - انظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (ت ٧٥٤هـ)، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعيد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣١ – ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١٠م، ج ٧، ص ٤٨٠.
[5] - الكشاف: ج ٣، ص ٤٦٨.
[6] - انظر: التحرير والتنوير: ج ٢١، ص ٦٦.

د ـ علاقة المقابلة: من نماذج ذلك في الكشاف:

- المقابلة بين المقاطع: مثل توضيح الزمخشري الحبك القائم على علاقة المقابلة بين ما أعده الله للكافرين وما أعده للمؤمنين في قول الله تعالى في سورة البقرة: ((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾)) (**البقرة ٢٢: ٢٥**) فقال: "من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادةَ التنشيط، لاكتساب ما يُزْلِفُ، والتثبيطِ عن اقترافِ ما يُتْلِفُ. فلما ذكَرَ الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفَّاهُ ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي، وحَمَوْها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب"[1]. وقد أشار ابن كثير إلى سُنَّةِ القرآن الكريم في ذِكْر ما أعَدَّهُ الله للمؤمنين عَقِبَ ذِكْر ما أعَدَّهُ للكافرين القائم على المقابلة مبينًا أ ن ذلك سبب تسمية بعض آيات القرآن مثاني.[2]
- وقد تكون المقابلة بين الجمل بقصد التقرير، ومن ذلك ما قاله الزمخشري عند تفسير قول الله تعالى: ((مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾)) (الروم : ٤٤: ٤٥)، حيث قال: "وتكرير ((الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)) وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يُفْلِحُ عنده إلا المؤمن الصالح. وقوله: ((إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)) تقرير بعده تقرير، على الطرد والعكس."[3]. ويفهم مما أورده صاحب التحرير والتنوير أيضًا دور المقابلة بين حال المؤمنين وحال الكافرين في حبك النص.[4]

نتائج البحث

يمكن أن نلخص نتائج هذا البحث في النقاط الآتية:

- كان منهج الزمخشري في (المفصل في صنعة الإعراب) متناسقًا مع الهدف التعليمي الذي سيطر على نحاتنا آنذاك لذلك لم يختلف المفصل كثيرًا عن كتب النحو التقليدية من ناحية المنهج إذ حصر نفسه في نطاق الجملة ليوضح قوانين صياغتها، والعلاقات بين أجزائها.

---

[1] - الكشاف: ج ١، ص ١١٩.
[2] - انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٦٢.
[3] - الكشاف: ج ٣، ص ٤٨٠.
[4] - التحرير والتنوير: ج ٢١، ص ١١٦ .
(*) المجادلة: ١٩

- جاءت خصائص نحو الجملة واضحة في المفصل للزمخشري، متمثلة في الحرص على اطراد القاعدة، ومعياريتها، وانتزاع الشواهد من سياقها، وتحليل الجملة المركبة إلى جمل بسيطة.
- كان هدف الزمخشري من تفسير الكشاف إبراز الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، والكشف عن أسرار النظم القرآني، لذلك نجده في الكشاف، يدرك أن القرآن الكريم بجميع سوره لوحة متكاملة، يقصد بها هدف واضح هو هداية الناس إلى الصراط المستقيم كما جاء في أم الكتاب، وتترابط آياته وسوره.
- جاءت معايير نحو النص في الكشاف – من الناحية التطبيقية لا التنظيرية – واضحة في تفسير الكشاف، وقد مثلت لذلك بمعياري (السبك والحبك)، مما يحفز الباحثين والعلماء إلى محاولة صياغة ملامح نحو النص صياغة واضحة، والتمثيل لها من تراثنا العربي؛ ليكتسبها الطلاب، مما يساعدهم على تذوق جمال النصوص العربية.
- لذلك يوصي الباحث المسئولين بالاهتمام بتدريس نحو النص لطلابنا، ليكتسبوا ملكة التذوق البلاغي للنصوص كاملة، لا لجمل مبتورة من سياقها.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا:

- أبحاث في النحو والدلالة، د. السيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، الزهرة التوهامي، المركز الجامعي أكلي محند أولحاج، البويرة، ٢٠١٠ – ٢٠١١م.
- إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم معلقة طرفة بن العبد نموذجًا، صالح حوحو، مجلة الأثر، العدد٢٣/ ديسمبر٢٠١٥م.
- أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، رسالة ماجستير، عبد الخالق فرحان شاهين، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر، بيروت، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية، ط ٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- البعد الدلالي والشكلي للإعراب: (دراسة في البنية التركيبية النحوية)، هاني جيلاني، بديار بشير، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد ١٠، عدد٣، السنة ٢٠٢١.
- البيان والتبيين، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- التشكيل الجمالي في النظم القرآني، د. السيد خضر، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١١هـ - ٢٠٢٠م.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل الحافظ عماد الين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، المكتبة التوقيفية، بالقاهرة، ومكتبة الإيمان بالمنصورة.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم تفسير سورة الأنعام ، الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الديار المصرية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ط ٤، القاهرة.
- التماسك النصي في القرآن الكريم دراسة نصية تطبيقية في سور الحواميم، د.فائزة الموسوي، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، ط١، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المكتبة العلمية.
- دور نحو الجملة في تفسير النص منهج وتطبيق، د. ليلى يوسف حميد، بحث منشور ضمن كتاب المؤتمر الثالث بكلية دار العلوم (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- السبك والحبك في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء اللسانيات النصية، رسالة دكتوراه، صالح محمد علي أبو شارب، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمَّان، الأردن، ٢٠١٣م.
- شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢٢،١هـ، ٢٠٠١م.
- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح ، الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية، جامعة الكويت، عبد السلام هارون: معلما ومؤلفا ومحققا، ١٩٩٠م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، سلسلة الرسائل الجامعية، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة والإسكندرية وطنطا، مصر، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة العالمية للنشر لونجمان، ١٩٩٧م، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة.
- في اللسانيات العربية دراسات ومثاقفات، سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ)، وبحاشيته: الانتصاف للإمام أحمد بن المنير الإسكندراني، والكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المرزوقي، حاشية للشيخ محمد عليان المرزوقي المذكور، اعتنى به ورتب حواشيه محمد السعيد محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٦م.
- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ط ١.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٩٤م.
- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط ١، ١٩٩١م.
- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هانيه مان وديتر فيهفجر، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤م.
- المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، رسالة دكتوراه، حمادة محمد عبد الفتاح، جامعة الأزهر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- المعايير النصية بين السور المكية والمدنية، دراسة تطبيقية (الأعراف والنساء نموذجًا)، د. يسري السيد إبراهيم نوفل، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة والإسكندرية، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، تحقيق خالد إسماعيل حسان ورمضان عبد التواب، مكتبة الآداب، القاهرة،ط ٣، ٢٠١٤م.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.
- الانسجام الدلالي عند أبي حيان الأندلسي من خلال تفسيره البحر المحيط، د. الحسيني محمود علي موسى، ط١٤٣٩،١هـ - ٢٠١٨م، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا.
- النص والخطاب والاتصال، الدكتور محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة،٢٠١٤ م.
- النص والخطاب والإجراء، تأليف روبرت دي بوجراند، ترجمة الدكتور تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، وبيروت لبنان، ٢٠٠٠م
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الدكتور مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط ١، ١٩٩٧، القاهرة.
- النظرية اللغوية في التراث العربي، د. محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر المتوفى سنة ٨٨٥هـ، خرج آياته وأحاديثه ووضع جواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٤٥هـ - ١٩٩٥م.
- وصف الخيل عند طفيل الغنوي (بائيته نموذجا)، د.عائشة عبد القادر محمد توم، ود. هاجر سليمان طه، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد (٧٢)، أكتوبر ٢٠٢١م.